﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢﴾ [الحشر: 11 - 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

التَّقابُلُ بين المؤمنين فيما بينهم والكافرين فيما بينهم لبيان التَّمايز والتَّفاضل

لمّا بيَّنتِ الآياتُ السّابقةُ محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم، وحال المؤمنين اللّاحقين مع السّابقين في الدّعاء لهم بالمغفرة، وللمعاصرين في الدّعاء بألّا يجعل في قلوبهم غلًّا؛ ناسب ذكر المقابل فيما يجري بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة؛ ليقع التّقابل بين الفريقين في بيان ما يمتاز به المؤمنون، وتعجيبًا من إصرار الكفّار والمنافقين على عدم الإيمان مع ما يرون من المعجزات والآيات البيّنات وما يرون من حال الرّسول ﷺ والمؤمنين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُخۡرِجۡتُمۡ﴾: (خرج) يدلُّ على النَّفاذِ عَنِ الشَّيْءِ، ومنه الخروجُ، يقال: خَرَجَ خُروجًا: برز من مقرِّه أو حاله، سواء كان مقرُّه دارًا، أم بلدًا، أم ثوبًا، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: 21]، وقال: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ﴾ [الأعراف: 13]، والإخْراجُ أكثر ما يُقالُ في الأعيان، نحو: ﴿أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥﴾ [المؤمنون: 35]، ونحو: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنفال: 5][2]، ومعنى ﴿أُخۡرِجۡتُمۡ﴾، أي: من دياركم قَسْرًا[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 445، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (خرج).
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.

2) ﴿لَيُوَلُّنَّ﴾: (ولي) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على قُرْبٍ[1]، ومنه الوَلاءُ والتَّوالي: أن يَحْصُلَ شيئان فصاعدًا حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما، ويُستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النِّسبة، ومن حيث الدّين، ومن حيث الصّداقة والنّصرة والاعتقاد، والوِلايَةُ النُّصْرةُ، وإذا عدّي بـ (عن) لفظًا أو تقديرًا؛ اقتضى معنى: ترك القرب، قال تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: 82]، والتَّوَلّي قد يكون بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: 111]، وقال: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: 16][2].

3) ﴿ٱلْأَدْبَرَ﴾: (دبر) أصْل دالٌّ على آخِرِ الشَّيءِ وخَلْفِهِ، وهو: خِلافُ قُبُلِهِ، ودُبُرُ الشَّيء: خلاف القُبُل، وكنّي بهما عن العضوين المخصوصين، ويقال: دُبُرٌ ودُبُرٌ، وجمعه أدْبار، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: 16]، وقال: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: 15]، وذلك نهي عن الانهزام[3]، وقوله تعالى: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَرَ﴾ كناية عن الفرار وعدم الثّبات[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المنافق مخادع كاذب مع أقبح المِلَل فكيف مع أطهرها؟.

تُبيِّن الآيتان الكريمتان واقع المنافقين مع يهود بني النَّضير، حين أرسل عبدُ الله بن أبيٍّ بن سلول رأسُ المنافقين - أثناء حصار الرّسول لهم - رسالة يدعوهم فيها إلى المُكْث وعدم الخروج من ديارهم، ويعدهم بالنُّصرة والمؤازة، وألّا يطيع هو وأتباعه في شأنهم أحدًا حتى لو كان الرَّسولَ والمسلمين، ويُقسم على ذلك بأغلظ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ولى).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن: (ولى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (دبر).
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 231.

الأيْمان، واللّه تعالى يشهد بكذبهم في وعودهم وأيمانهم، ويعلم أنَّهم لن يخرجوا مع اليهود؛ إن أُخرجوا، ولن ينصروهم؛ إن قوتلوا، وإن حاولوا نصرتَهم؛ فسرعان ما يفرّون خائفين مذعورين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

غرضُ الاستئناف ودلالته:

الانتقال من الضدِّ إلى الضدِّ لتتمايز الأضدادُ

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ كلامٌ مستأنفٌ لحكاية ما جرى بين المنافقين والكافرين من أقوال كاذبة وحوارات خادعة، بعد أن ذكر البيانُ أحوالَ المؤمنين وأقوالَهم؛ جريًا على عادته في قَرْنِ الحديث عن المؤمنين بالحديث عن الكفّار والمنافقين؛ ليميز اللّه الخبيث من الطيّب، والصّالح من الطّالح، والأمّة الصّادقة المترابطة من الأمم الكاذبة المخادعة؛ إذ الضدّ لا يظهر حسنه إلّا الضدُّ[2].

غرض الاستفهام وبلاغته:

أحوال المنافقين عجيبةٌ لمن رعاها بالتأمُّل والتفكُّر

قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أسلوب استفهام يفيد بجانب الإثارة والتَّنبيه التّعجيبَ من حال المنافقين، الّذين وعدوا إخوانَهم الكافرين بالنّصرة والمؤازة؛ إذ بني على نفي العلم بحالهم كنايةً عن التّحريض على إيقاع هذا العلم، كأنّه يقول: تأمَّل الّذين نافقوا في حال مقالتهم لإخوانهم، ولا تترك النّظر في ذلك؛ فإنّه حالٌ عجيبٌ[3].

دلالة التّعبير بفعل الرّؤية:

التّعبيرُ بفعل الرّؤية ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ دالٌّ على أنَّ ما يلفتُ القرآنُ النّظرَ إلى ضرورة التعجُّب منه أمرٌ حاصلٌ بالفعل، يُشاهد بالعين من غير شكٍّ، أي: ألم تعلمْ علمًا هو في قوة الجزم به كالمشاهَد[4].

(1) حجازي، التّفسير الواضح: 3/ 649، وما بعدها، بتصرّف.
(2) صدّيق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 14/ 49.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 98.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 445.

نكتة تعدية فعل الرُّؤية بحرف الانتهاء:

تعديةُ فعل الرُّؤية إلى معمولِه بحرف الانتهاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ دالٌّ على ضرورة التلبُّث والتوقُّف عند هذا الحدث بالتأمُّل الدّقيق، والتدبُّر العميق، وألّا تكون مشاهدتُه مجرّدَ رؤية عابرة، وألّا يكون العلمُ به مجرد إحاطة، كأنَّه خبر من الأخبار الّتي لا تتجاوز الآذان، بل لا بدّ من تفحُّصه وتدبُّر ما فيه من كذب وخداع وتغرير ومراوغة؛ ليعرف المؤمنون حقيقةَ المنافقين، ويكونوا على حذر من التَّعامل معهم، والأمن لهم.

تـدبُّـرُ مـواقـف المنافقين وتأمُّلُها هـادٍ إلى معرفةِ حقائقهم

دلالة التّعبير بفعل الرّؤية مضارعًا:

أوثر التَّعبير بفعل الرُّؤية مضارعًا منفيًّا ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ دون (أرأيت)؛ لما يمتاز به من استحضار الصّورة الماضية، كأنَّها حاضرة ماثلة، يبدو فيها المنافقون، وهم يواعدون إخوانَهم الّذين كفروا من أهل الكتاب بالنّصرة والمؤازرة ضدّ أعدائهم أيًّا كانوا، ويغرونهم بالبقاء في ديارهم، وعدم الخروج من بيوتهم، ويقسمون على نصرتهم بأغلظ الأيمان، فتعمل الصّورة المستحضرة عملها في زيادة التّعجيب والإدهاش.

اسـتـحـضـارُ الصّورة يزيد من قيمة الاستفهام في التعجيب

تعيينُ مرجع الضّمير المستتر في فعل الرّؤية:

المخاطَبُ بفعل الرّؤية هو رسولُ الله ﷺ، وكلُّ واحدٍ له حظٌّ من الخطاب في أيِّ زمانٍ ومكان[1]؛ لأنَّ اليهود هم اليهود، والكافرون هم الكافرون، ذريّة بعضها من بعض، يحملون الصّفات نفسها، ويكرِّرون الأفعال ذاتها، فالخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ وقتَ نزول الآيات في هذه حادثة بني النّضير، إلّا أنَّ الخطاب بالمجمل صالحٌ لأن يكون لكلِّ مَن مِن شأنه الرُّؤيةُ الفكريّة الصّائبة لواقع المنافقين في داخل المجتمع المسلم، وأعدائهم من اليهود المتربّصين على مدار الزّمان بأمّة الإسلام.

الـسُّـنن الاجـتـمـاعـيـة واحـدةٌ في أصـحـاب الطّوائف الدّينيّة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.

بلاغة التّعبير بالاسم الموصول:

إبراز علل الأفعال من مقاصد التّعبير القرآنيّ

أوثر التّعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾؛ للإشارة إلى أنَّهم منافقون مقصودون بالخطاب، فهُم الّذين جمعوا إلى النّفاق أسوأ أحواله، في محاولة الرّمي بالمجتمع المسلم، والكذب على اليهود، وهم معروفون بصفاتهم الّتي عانى منها المؤمنون، مع ما في التّعبير بالاسم الموصول من التّعليل بذكر النّفاق، ولو قيل: (ألم تر إلى المنافقين)؛ لكان مجرَّد إخبار بنفاقهم من غير تعجيب ولا إدهاش.

نكتة التّعبير بالماضي: ﴿نَافَقُواْ﴾:

الإيماء إلى رسوخ النّفاق فيمن يؤيّد اليهود على المؤمنين

جاء التّعبير بجملة الصّلة بصيغة الفعل الماضي: ﴿نَافَقُواْ﴾؛ لدلالته على تغلغل النّفاق في قلوبهم، وجريانه في عروقِهم، ووصولهم فيه حدًّا لا رجعة معه إلى الإيمان، والمعنى: أظهروا غير ما أضمروا، فأظهروا الخير، وبالغوا في إخفاء عقائدهم بالشَّرِّ مبالغة مَن ساجَل غيره[1]، وتفوَّق عليه.

علة فصل جملة: ﴿يَقُولُونَ﴾:

بيانُ فعل المنافقين بعد التَّعجيب منه

جاءت جملة: ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾ مفصولة عمّا قبلها؛ لأنَّها تبيِّن المُتَعَجَّبَ منه، وتوضِّحه، فيما يُعرَف بكمال الاتِّصال الّذي تنزل فيه الجملة الثّانية من الأولى منزلة التّابع من المتبوع، فتفصل عنها كما يُفصل بينهما، ويمكن أن يكون الفصل لشبه كمال الاتِّصال الّذي تُجيب فيه الجملة المفصولة عن سؤال أثارته الجملة السّابقة في نفس المتلقّي عن الفعل الّذي فعله المنافقون، أو القول الّذي قالوه لإخوانهم من الكفّار، والّذي عُني القرآن بلفت الأنظار إليه، ودعا إلى تأمُّله وتدبُّره، كأنَّه قيل: ما بالهم، وما خطبهم؟ فجاء الجواب: ﴿يَقُولُونَ﴾.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 445.

نكتة التّعبير بالمضارع: ﴿يَقُولُونَ﴾:

المنافقون يكرّرون وعودَهم الزّائفة ليثق فيهم المخاطبون

جاء التّعبير بفعل القول مضارعًا في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾؛ لما يُفيده المضارعُ من استحضار الحالة الماضية، كأنَّها حاضرةٌ ماثلة يبدو فيها المنافقون، وهم يحرِّضون بني النّضير على عدم الخروج، ويعدونهم بالنّصرة والمؤازرة ضدَّ من يحاولون إخراجهم أيًّا كانوا، بجانب دلالته على تجدُّد صدور هذه الأقوال من المنافقين مرّات ومرّات[1]، والمعنى: يقولون ذلك مؤكّدينه ومكرّرينه لا على سبيل البداء أو الخاطر المعدول عنه[2]، بل هو قولٌ أكيدٌ يسعون إلى حصولِه، وفيه بيانٌ للتَّعجُّب من شأنهم.

نوع اللّام في قوله: ﴿لِإِخْوَانِهِمُ﴾ ودلالتها:

المنافقون أبلغوا اليهود بمعيّتهم لهم ضدَّ المسلمين

اللّام في قوله: ﴿لِإِخْوَانِهِمُ﴾ هي لام التَّبليغ[3]، الدالّة على أنَّ عددًا من المنافقين منهم عبد اللّه بن أبيٍّ، وعبد اللّه بن نبْتل، ورفاعة بن زيد، ورافعة بن تابوت، وأوس بن قيظيّ، ووديعة بن أبي قَوْتَل، أو ابن قوقل، وسويد (لم ينسب) وداعس (لم ينسب) بَعثوا إلى إخوانهم من بني النّضير حين حاصرهم جيش المسلمين يقولون لهم: اثبتوا في معاقلكم، فإنّا معكم[4].

وجه التّعبير عن اليهود بلفظ: ﴿لِإِخْوَانِهِمُ﴾:

اليهودُ والمنافقون جمعتهم أُخوَّةُ المصلحة في معاداة الإسلام

عبَّر النَّظم الكريم عن يهود بني النّضير بلفظ: ﴿لِإِخْوَانِهِمُ﴾؛ جريًا على عادته البيانيّة في التّعبير عن الأصدقاء، أو مَن يجتمعون على عقيدة واحدة بوصف (إخْوانِ) كما سبق بيانه، وإنَّما وصفهم به؛ لأنَّهم كانوا متَّحدين في الكفر برسالة النبيّ وعداوته، وليس لأنَّهم إخوةٌ في النّسب، أو الملّة، أو الدّين، فإنَّ بني النّضير من

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 144، والمراديّ، الجنى الدانيّ، ص: 99.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.

اليهود، والمنافقين الّذين بَعثوا إليهم مِن بني عوف مِن عرب المدينة، وأصلُهم من الأزدِ[1]، والمنافقون ليسوا يهودًا، فأصبحت الأخوّة الّتي بينهم أخوَّة المصلحة في العداء لدين اللّه تعالى.

دلالة التّعبير بالاسم الموصول:

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ صفة لـ ﴿لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾ أوثر وصفُهم به؛ ليتوصَّل بصلته إلى أنَّ جانبَ الأخوَّة الّذي يجمع بينهم هو الكفر بالإسلام، وإن اختلفت مشاربه.

فائدة اختيار لفظ الكفر دون الشِّرك:

تعيين المقصود بالخطاب وبيان كفر المنافقين لزومًا

آثر النَّظم الكريم استعمال مفردة الكفر في وصف يهود بني النّضير، وهو كفرٌ برسالة النبيّ محمد ﷺ، فكفرهم ليس كفرَ شرك مثل كفر المنافقين الّذين يشركون مع اللّه آلهةً أخرى، وهذا هو السرُّ في تعبير النّظم القرآنيّ بالفعل: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلةً لاسم الموصول، فالغرض من مفردة الكفر تعيين المقصود بإخوانهم بأنَّهم اليهود، مع بيان حكم القرآن فيهم، ولينطبق الحكم على المنافقين لزومًا.

نكتة التّعبير بصيغة الماضي:

أوثر التّعبير بفعل ﴿كَفَرُواْ﴾ ماضيًا؛ للدَّلالة على تغلغله في قلوبهم، ووصولهم فيه مبلغ الإصرار على البقاء وعدم الإقلاع، على الرّغم من ثبوت نبوَّة محمّد لديهم بالأدلَّة والبراهين.

نوع ﴿مِنۡ﴾ ودلالتها:

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بيانيّة توضِّح أنَّ الّذين أغراهم المنافقون بالبقاء في ديارهم ووعدوهم بالنُّصرة والمؤازرة هم يهود بني النّضير المحاصرين.

حكمُ الضّالِّ عن علمٍ ليس كحكمِ الجاهل المغبون

فائدة التّعبير بـ ﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

آثر البيان القرآنيّ التّعبير عن بني النّضير بوصف: ﴿أَهۡلِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 509، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ دون: (اليهود)؛ للإبلاغ في ذمِّهم؛ إذ التّعبيرُ به يؤكّد أنّهم ضلّوا عن علم، وكفروا برسالة رسول الله عن عمدٍ، وناصبوه العداء عن إصرار وضغينة وحقد، فهُم أهل كتابٍ يعرفون الحقَّ من الباطلِ، ويقفون على مواضع الإخبار عن النبيِّ الخاتم في كتابهم، فلمّا عدلوا عنه؛ زاد ذمُّهم، وارتفع قدحُهم.

دلالة إضافة لفظ ﴿أَهۡلِ﴾ إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

أهل الكتاب تركيب إضافيٌّ للتّعريف لا لبيان استحقاقهم أن يكونوا أهل كتاب

أُضيف لفظُ ﴿أَهۡلِ﴾ الموضوع للأقارب الأدنَيْن من جهة النَّسب ومن جهة الاختصاص[1]، مضافًا إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المراد به التّوراة الّتي أنزلها اللّهُ على نبيّه موسى؛ لتقوية ما سبق بيانه من أنَّهم أعرفُ النّاس بما فيه، وأكثر إحاطة بنصوصه وأوامره الحاسمة باتباع النبيِّ الخاتم، ونصرته، وعدم مشاقَّته، وهي إضافة تؤكِّد أنَّ كفرهم بالرّسول كان عن عمد، وعدواتهم له كانت عن بُغض، والتّركيب الإضافيّ يُرادُ به التَّعريف العَلَميُّ المشتهر في الإطلاق عليهم، لا أنَّهم مستحقّون؛ لأن يكونوا أهلَ الكتاب.

نوع اللّام ودلالتها:

اللّامُ في قولِه: ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ موطِّئةٌ للقسم، أي: قالوا لهم كلامًا مؤكَّدًا بالقسم[2]، ما يعني: أنَّ المنافقين قالوا لليهود: واللّه إن أُخرجْتم[3].

نكتة استعمال (إنْ):

المنافقون أوهموا اليهود بأنَّ المسلمين لن يستطيعوا إخراجهم

تعبير المنافقين الّذي يحكيه القرآنُ بحرف الشَّرط المفيد للشَّكِّ في قولِهم: (إنْ أُخْرِجْتُمْ) فيه نوعٌ من تشجيع المنافقين لليهود على الثَّبات، وإثارتهم إلى التمسُّك بالبقاء في ديارهم، وعدم الخروج

(1) الرّاغب، مفردات اللّغة: (آل)، والعسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 281.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.

من بيوتهم، بإيهامهم أنَّ إخراج المسلمين لهم أمرٌ مشكوكٌ فيه وغيرُ متوقَّع الحصول؛ بسبب قوَّة تحصينات اليهود، والثِّقة التامّة في قدرتهم على الثّبات والمواجهة، بجانب مؤازرة المنافقين لهم.

بلاغة التّعبير بـ ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾:

المنافقون أشعروا اليهودَ بأنَّ تركَ الدّيار فيه خزيٌ لهم ومعرّةٌ تلحقهم

استعمل النّظم الكريم فعلَ الإخراج؛ لبيانِ علم اليهود بأمر المؤمنين لهم بالإخراج، والمنافقون علموا ذلك، وحاولوا ألّا يكونَ باستعمال ورقة الوعد الكاذب لعلَّهم يُزعزعون الأمور، بتثبيت اليهود وتحريضهم على مواصلة التمسُّك بالبقاء في الدّيار، والبسالة في الدّفاع عنها، والالتجاء إلى الحصون وعدم الخوف أو الهلع من الحصار الّذي ضربه عليهم الرّسول وأصحابه، وبيان أنّ تركَ المكانِ فيه خزيٌ لهم، ومعرَّةٌ تلحقُهُم.

نكتة بناء فعل ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ للمفعول:

شأنُ المنافقين التّهوين من شأن المسلمين

جيء بفعل الإخراج مبنيًّا للمفعول ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾؛ لأنَّ فاعلَه معروفٌ للمنافقين ولبني النّضير، وكأنَّ المنافقين يريدون من وراء التّغافل عن ذكر الفاعل التّهوينَ من شأن المسلمين ودعوة اليهود إلى عدم الاكتراث بهم؛ مهما بلغت قوَّتُهم، ومهما طال حِصارُهم لهم، ونكتة أخرى أنَّ عدمَ ذكر الفاعل باعتبار شهرة الوعيد بالإخراج، فقد سارت فيه الرُّكبان، فذكر الفعل دون الفاعل باعتبار شهرته، والخوف من وقوعه.

معنى اللّام في: ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾، وأثر التّوكيد لدى المتلقّي:

توكيد الوعود دليل ريبة اليهود من المنافقين

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾، هي الواقعة في جواب القسم، وهي تفيد توكيد الجوابِ وتقوية وقوعِه، وفائدتها في السّياق ألّا يقع في خاطر اليهود أيُّ مقدارٍ من الشكِّ في قَسَم أهل النّفاق على نصرتهم، وفي وعدهم بالمؤازرة والمساعدة ضدَّ المسلمين، فيزداد ثباتُهم، وتَقْوى عزائمُهم؛ عندما يعلمون أنَّ هناك مَن يقفُ وراءهم،

ويدعم موقفَهم، ويُلقي بنفسه في أتون المعركة معهم، وتلك حالةٌ نفسيّة عَزَفَ المنافقون على أوتارها؛ ليُضعِفوا المسلمين، ويَتَخلَّصوا من اليهود دون أن يظهروا في الصّورة.

بلاغة الكناية في فعل الإخراج:

من أساليب المنافقين ربط مصيرهم بمصير اليهود للإقناعِ بالثَّبات

إسناد فعل الخروج إلى ضمير المنافقين مؤكَّدًا باللّام في قوله تعالى: ﴿لَنَخۡرُجَنَّ﴾ الواقع جوابًا للقسم، هو وعدٌ مؤكَّد بالخروج مع اليهود إلى أيِّ مكان رغبوا فيه، وإنَّما وعدوهم بذلك؛ ليطمئنّوا، ويثبتوا، وهو كناية عن النُّصرة، وإلّا فإنَّ المنافقين لا يرضون أن يفارقوا بلادَهم[1]، فالتَّوكيد هو محاولةٌ لإقناع اليهودِ بالثّبات، بإلصاق مصيرهم بمصيرهم، وهو أسلوبٌ دالٌّ على الكذبِ العريض، والتّوريط العجيب.

دلالة التّقييد بالظّرف:

المنافقُ يُمارس أعلى درجات البيان لإقناع المقابل فيما يُريد

قُيِّد فعل ﴿لَنَخۡرُجَنَّ﴾ بالظّرف ﴿مَعَكُمۡ﴾؛ للدّلالة على أنَّ المنافقين قد أبدوا استعدادهم للذَّهاب في نُصرة اليهود ومؤازرتهم إلى أبعدِ الاحتمالات وأشدِّها، وهو الخروج معهم ومصاحبتهم إلى أيِّ مكان يذهبون إليه، والمعنى: لئن أُخرجتم؛ لنخرجنَّ معكم البتَّة، ونذهبنَّ في صحبتكم أينما ذهبتم[2]، وقد دلَّ الظَّرف على المعيَّة في المكان والصّحبة في الزّمان، فهم يذهبون معهم إلى أيِّ مكانٍ يذهب إليه اليهود، ويصاحبون في أيِّ وقتٍ يخرجون فيه، فالظّرف كناية عن أبلغ درجات التّضحية في مؤازرة اليهود، وهم في كنايتهم كاذبون مراوغون.

نوع الواو ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿لَنَخۡرُجَنَّ﴾، ويمكن أن تكون معطوفة على جملة: ﴿لَئِنۡ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.

﴿أُخْرِجْتُمْ﴾، فتكون من المقول لا من المقسم عليه[1]، وأيًّا كان المعطوف عليه؛ فقد عُطفت الجملة لزيادة تطمين اليهود إلى مساعدةِ المنافقين ونصرتهم، بنفي أيِّ احتمال لطاعة أحد من المسلمين في خذلان اليهود والتَّقاعس عن نصرتهم، "فلمّا كان من المعلوم أنَّ للمنافقين أقارب من أكابر المؤمنين، وكان من الممكن أن يقوموا عليهم في منعهم من القيام مع اليهود؛ نصيحةً لهم وإحسانًا إليهم، نفي المنافقون ذلك بهذه الجملة"[2]، فالجملة من قبيل الاحتراس عن مظنّة تغيير الرّأي عند حصول الضّغط الاجتماعيّ، وهذه المبالغة في الاحتراس تدلُّ على عدم ثقة اليهود بالمنافقين.

الاحتراسُ الدّافع لظنِّ اليهود بالمنافقين أن يُطيعوا الآخرين فيهم

دلالة النَّفي بـ (لا):

جاء قول المنافقين: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ منفيًّا بـ (لا)؛ لدلالته على نفي احتمال طاعة أحد من المسلمين في أمره بخذلان اليهود نفيًا قطعيًّا لا يعتريه شكٌّ.

بلاغة عطف الجملة غير المؤكَّدة على الجملة المؤكَّدة:

جاءت جملة: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ عاريةً من التَّوكيد، بخلاف الجملة المعطوفة عليها ففيها توكيدات، وذلك أنَّ هذه الجملة جاءت احتراسًا استباقيًّا من توارد ظنون اليهود فيهم، فخلوّها من التَّوكيد يدفع شبهة الشكِّ فيهم، وهو ما يدلُّ على أنَّ الاحتراس جاء مباغتًا، لا أنَّه ردٌّ على أقوالٍ وردت، وهو ما يدلُّ على أنَّ المنافقين يستترون وراء قدراتهم البيانيَّة، وأنَّهم يتخيّرون الأساليب كما يتخيَّرون الألفاظ.

المنافقون أصحابُ مهاراتٍ بيانيَّة في الإقناع وبلاغة في الخطاب

بلاغة الإيماء والكناية:

مقصودُ التّعبير بفعل الطّاعة المنفيّ: ﴿وَلَا نُطِيعُ﴾ الإيماء إلى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 447.

أنَّ المنافقين لا يوالون الرّسول ولا أحدًا من أتباعه، ولا يدينون لهم بطاعة، وأنَّهم يشاركون اليهود عداوتهم للمسلمين وكفرهم برسالة محمّد ﷺ، كما أنَّ هذا الوعد بعدم الطّاعة هو كنايةٌ عن المعصية المبيَّتة، تتمثَّل في الإلماح إلى أنَّ مؤازرة اليهود بأيِّ صورةٍ وبأيِّ شكلٍ تُعدُّ معصية عظيمة لرسول الله ﷺ، وعداوة صريحة معه.

مـؤازرةُ اليهود معصيةٌ لرسول الـلـه وعـداوةٌ صريحةٌ لا تقبل التَّأويل

نكتة التّعبير بصيغة المضارع:

جاء التّعبير بصيغة المضارع في جملة: ﴿وَلَا نُطِيعُ﴾؛ للدَّلالة على بيان إصرار المنافقين على تجدُّد المعصية منهم، وأنَّهم لن يتراجعوا عن معصيتهم، بل سيبقون في مؤازرتهم لليهود.

بلاغة الإيجاز باستعمال حرف الظرفيّة:

دلَّ استعمال حرف الظرفيّة ﴿فِيكُمْ﴾ على معانٍ كثيرة بدلالة السّياق والمقام، فكان له حظٌّ بديع من الإيجاز، والمعنى: في شأنكم، وفي ضُرِّكُم؛ إذ لا يخطر بالبال أنَّهم لا يطيعون مَن يدعوهم إلى موالاة إخوانهم، ويُقَدَّر المضاف في مثل هذا بما يناسب المقام[1]، والمعنى: لو فُرِض أنَّ أحدًا صار في القرب منكم، مثل قرب المظروف من الظَّرف ما أطعناه في التَّقصير فيما يسرّكم[2]، أي: إنَّ أهل النِّفاق لن يساعدوا أحدًا في إيذاء اليهود مهما كان متمكِّنًا، وكان إيذاؤه لهم مؤكَّدًا.

معـيـار تقدير المعاني المحذوفة السّياق

نكتة تقديم ﴿فِيكُمْ﴾ على المفعول:

قُدِّم ذكر الجارِّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾، وكان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (ولا نطيع أحدًا فيكم أبدًا)؛ جريًا على عادة العرب في تقديم المفعول على الجارّ والمجرور، لكن عدلَ عن هذا التّرتيب هنا لغرض بلاغيٍّ يتمثّل في رغبة المنافقين في

المـنـافـقـون حريصون على إشعار اليهود بـمـكـانـتـهـم عندهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 99.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 447.

إشعار اليهود بأهميتهم لديهم، وأنَّ منعَ الضّرر عنهم هو قصدهم وغايتهم، حتّى وإن كلَّفهم عداوةَ الرّسولِ والمسلمين.

نكتة تنكير المفعول:

نُكّر لفظ ﴿أَحَدًا﴾؛ لما يفيده التّنكير من عموم فعل الطّاعة المنفيّ وشموله الرّسول ﷺ وجميع المسلمين، والمعنى: لا نطيع أحدًا يسألنا خذلانكم من الرّسول والمؤمنين[1].

دلالة ذكر ﴿أَبَدًا﴾:

نصرةُ المنافقين لإخوانهم اليهود راسخة ممتدَّةٌ إلى يوم الدّين

آثر النّظم الكريم ذكر ﴿أَبَدًا﴾، وهو ظرف زمان متعلِّق بفعل الطّاعة المنفيّ، فلم يقل: (ولا نطيع فيكم أحدًا)؛ ليشمل الزّمان القادم؛ زيادةً في تطمين اليهود إلى أنَّ نصرة المنافقين لهم ستكون راسخةً لا ينال التَّغيير والتَّبديل، فهم لن يتخلّوا عنهم مهما طال الزّمان، وامتدّت الحرب، والمعنى: لا نطيع فيكم أحدًا ما دمنا نعيش، وإن طال بنا الزّمان[2].

وجه كثافة التَّوكيد وكثرته:

حركة النِّفاق تستلهم قوّتها من جوهرها الأصيل الَّذي يُزيِّن لها الحروب

جاء كلامُ المنافقين الّذي يحكيه القرآنُ في قوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾، مفعمًا بأساليب التَّوكيد وأدواته؛ إذ أُكِّدت جملته الأولى بالقسم، وأُكِّد جوابه باللّام والنّون الثّقيلة، كما أُكِّدت الجملة الثّانية بعدَّة أساليب غير اصطلاحيَّة، كنفي فعل الطّاعة بـ (لا)، وتقديم الجارّ والمجرور على المفعول، وتعليق الفعل بالظّرف الدّال على تجدُّد المؤازرة واستمرارها أبدَ الدّهر، بما يعكس حرصَ المنافقين على أن يصدق اليهودُ كلامَهم، ويؤذن بكراهتهم العميقة للرّسول ﷺ والّذين آمنوا معه، وهو ما يُظهر أنَّ العلاقة مع اليهود هي علاقة وجودٍ، فحركة النّفاق لا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 447.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 447، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.

تستغني عن جوهرها الأصيل الّذي يُزيِّن لها الحرب مع الإيمان، فهُم الّذين لا تستريح قلوبهم إلّا بإيقاد الحروب، وإشعال الفتن.

دلالة تقديم الإخراج على القتال:

قُدِّم ذكرُ الإخراج: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ على القتال: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾، وما يقتضيه ظاهر النّظر أنَّ القتال هو الّذي يكون سابقًا للإخراج، حتّى إذا غُلِبوا على أمرهم أُخرجوا، ونكتة التّقديم تستبين بمعرفة عقليّة النّفاق، فالمنافقون بدَؤوا بذكر الخطر الأكبر الّذي يُخيف اليهود، وهو الإخراج، باعتبارِه التّهديد الأبرز، والوعيد المذكور، وذلك أنَّ الإخراج يستلزم القتال، فلا إخراجَ من الأرض إلّا بالقتال، فعلى فرض أنَّ اليهود قوتلوا واضطرّوا للخروج فالمنافقون معهم في وحدة المصير، وعلى فرض أنَّ القتال لم يُحقِّق الغاية منه، وهي الإخراج، فإنَّ القتال بجانب اليهود متحقِّق كذلك في النُّصرة، فبدَؤوا بذكر التَّهديد الأفزع، ثم الأقلّ منه، وتوجيه آخر أنَّ المنافقين يعلمون حرص اليهود على الحياة، فبدؤوا بذكر ما يحرص عليه اليهود، فهم أهل دنيَّة يرضون بالحياة الدنيّة على الموت العزيز، فإن خُيِّروا بين الحياة مع الإخراج، أو الموت مع البقاء فسيكون الاختيار للحياة، فكان التَّقديم بهذا الاعتبار.

المنافقون يُقدِّمون ما يتناسب مع الشخصيَّة اليهوديَّة في تحقيق مصالحهم

نوع الواو ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾؛ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، وهو عطفٌ للتّهديد على التّهديد؛ لدفع أنَّهم لا يُقاتلون معهم إن وقع القتال.

خروج المنافقين مع اليهود مستبعدٌ، فاحتاج إلى توكيد بخلاف النّصرة

بلاغة التّقابل في ذكر اللّام وحذفها في المتعاطفات:

حذفت اللّام من جملة: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾، بخلاف قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، فقد صُدِّرت الجملةُ باللّام، وذلك لاستبعاد وقوع الخروج من المنافقين مع اليهود، فكان تأكيد الخروج محمَّلًا أكيدًا

على الإقناع، أمّا القتال؛ فأمره أيسر؛ إذ كان الوعدُ بالنَّصر، والنَّصر قد يكون بالمالِ أو الجاه أو القتال أو بذلك كلِّه، فجاء التَّوكيد؛ بسبب استبعاد اليهود خروج المنافقين، بخلاف النّصرة فهي وإن ظهرت أنَّها أشدُّ، إلّا أنَّ الخروج عند التَّحقيق هو الأشدُّ؛ لما فيه من ترك البلاد والأموال.

نكتة استعمال (إنْ):

التّعبيرُ بحرف الشّرط المفيد للشَّكِّ في: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ يؤذن بتردُّد المنافقين في معرفة ما الّذي سيُقدم عليه المؤمنون، هل هو الإخراج أو القتال، فناسب التردُّد حرف (إنْ).

بلاغة استعمال مفردة القتال:

اليهود على التَّحقيق لا يُقاتلون بل يُعاقبون

آثر النَّظمُ استعمال لفظ القتال الموضوع؛ لإزهاق الرّوح من الجسد[1] في قوله تعالى: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ دون رديفاته؛ باعتباره اللَّفظ الدّالِّ على الحرب في الإطلاق العرفيّ، فيُطلَق القتال على الحرب، وثمَّة إشارةٌ أخرى تدلُّ على خبث المنافقين ومكرهم، وهي الإيعاز لليهود بأنَّهم المُعتَدى عليهم، وأنَّهم في موقف الدّفاع عن الأنفس والدّيار، مع التّغافل عن خيانتهم عهدَ رسول الله ومحاولتهم الغدرَ به، وعدم عدِّ ذلك جريمةً يستحقّون القتلَ لأجلها، فاستعاضوا عن اللّفظ الحقيق بالمقام إلى لفظ القتال؛ إذ اللّفظ الأوفق هو (إن عوقبتم)، وشأن النَّظم الكريم ذكر المعنى الّذي ينطق به المنافقون؛ لبيان أقوالِهم كما قالوها، فتُفهم نيّاتهم وإيماءاتهم.

نكتة بناء فعل ﴿قُوتِلْتُمْ﴾ للمفعول:

المنافقون يتعهَّدون بنصرة اليهود ضدَّ أيِّ مقاتلٍ كان

جيء بفعل الشَّرط مبنيًّا للمفعول ﴿قُوتِلْتُمْ﴾؛ للعلم بمن سيصدر عنه القتال؛ إن وقع في المستقبل، وللإيماء إلى المبالغة في النُّصرة، أي: إن وقع القتالُ ضدَّ أيِّ أحدٍ قاتَلَهم كائنًا مَنْ كان، ويدخل في

(1) الرّاغب، مفردات القرآن: (قتل).

ذلك الرّسولُ والمسلمون دخولًا أوليًّا، والمعنى: إن قوتلتم من أيِّ مقاتلٍ كان[1].

دلالة التَّوكيد وبلاغته:

الإبلاغ في تطمين اليهود ودفعهم إلى القتال

جاءت جملة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ الواقعةُ جوابًا للقسم مؤكَّدةً باللّام والنّون الثَّقيلة؛ مبالغة من المنافقين في تطمين اليهود، وحثِّهم على القتال؛ إنْ فُرِضَ عليهم، ولم يعدّ أمامَهم بدٌّ منه أو خيارٌ غيرُه، والمعنى: إن قاتلكم المسلمون؛ لنقفنَّ إلى جواركم، ولنقدمنَّ العون الّذي يؤدّى إلى نصركم[2].

دلالة التَّعبير بمفردة النُّصرة:

النُّصرةُ أشملُ من القتال وأعمُّ

جاء التّعبير بذكر النّصرة بعد لفظ القتال بقوله: ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ دون (لنقاتلَنَّ معكم) على خلاف قولهم: ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾؛ إذ جاء الجواب مطابقًا لمفردة الشَّرط في جواب قسم الأوَّل، فاختلف قولُهم في شأن القتال عنه في شأن الإخراج، ونكتة ذلك أنَّ النّصرة أعمّ من القتالِ، فقد تكون بالقتال أو المال أو الجاه، فهُم يعدونهم بأنّهم سينصرونهم بكلّ الوسائل والأساليب، ويدخل فيها القتالُ دخولًا أوليًّا.

نوع الواو ودلالتها:

شـهـادةُ اللـه قـاطـعـةٌ بكذب المنافقين

الواو في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ للاستئنافِ القاصدِ إلى تأكيدِ علمِ اللّهِ تعالى بحقيقة أمر المنافقين، وإحاطته التامَّةِ بما انطوتْ عليه قلوبُهم مِن حقدٍ على المسلمين، وأخوَّةٍ زائفةٍ لليهود الكافرين؛ تطمينًا للرَّسولِ ومَنْ معه؛ لئلّا يتوجَّسوا خيفةً من المنافقين ومن كيدهم[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 447.
(2) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 3/ 171.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 100.

براعة التّعبير باسم الجلالة:

الجمع بين مقصد المهابة والتَّرهيب

جاء التَّعبير باسم الجلالة العَلَم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ تربيةً للمهابة، وقذفًا للرُّعبِ في قلوب المنافقين، وبثًّا للطُّمأنينة والأمن في قلوب المؤمنين، من خلال إعلام الجميع بأنَّ اللّهَ المحيطَ بكلِّ شيء قدرةً وعلمًا[1]، يعلم كذبهم، ويعرف ما تنطوي عليه قلوبُهم، ويقي الرّسول والمسلمين كيدَهم ومكرَهم؛ فكان ذكر الاسم الجليل جامعًا بين مقصد المهابة والإجلال في قلوب المؤمنين، والتَّخويف والإنذار في قلوب المنافقين.

غرض تقديم المسند إليه على المسند الفعليّ:

قُدِّم المسند إليه على الخبر الفعليِّ في جملة: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾؛ لتقوية أنَّ اللّه تعالى محيطٌ علمًا وقدرةً بحقيقة ما يقوله المنافقون لليهود وتأكيده، ويعلم كذبهم في كلِّ ما يعدونهم به.

غرض استعمال مفردة ﴿يَشۡهَدُ﴾:

توبيخ المنافقين وتبكيتهم بالشَّهادة الإلهيَّة عليهم

أوثر الإخبارُ عن اللّه تعالى بالفعل: ﴿يَشۡهَدُ﴾ دون (يعلم)؛ لأنَّ الخبر عن يقين بمنزلة الشهادة التي لا يتجازف المُخبِر في شأنها[2]، والمعنى: يعلم علم المشاهِد المُطَّلِع، وهذا أبلغ من ذكر العلم؛ لأنَّه يجمع بين العلم والشَّهادة، مع الإيماء إلى توبيخهم وتقريعهم وتبكيتهم، فإنَّ الشّهادة الإلهيّة عليهم بمنزلة الصَّفعة الّتي لا تزول، والضّربة الّتي تذهب.

دلالة التَّعبير بصيغة الفعل المضارع:

تجدُّد الشَّهادةِ الإلهيَّة على علاقة النِّفاق باليهود

أوثر التّعبير بفعل الشّهادة ﴿يَشۡهَدُ﴾ مضارعًا؛ لدلالته على تجدّد شهادته سبحانه وعلمه؛ كلَّما تجدَّد زيف المنافقين وكذبهم، وتجدَّد تآمرُهم وكيدُهم، مع ما فيه من الإشارة إلى أنَّ موقف المنافقين

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 448.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 100.

من اليهود متجدِّد على مدى الزّمان، فتجدُّد الشّهادة يجب أن يكون حاضرًا في قلوب المؤمنين؛ ليعلموا أنّ هذه العلاقة ثابتة ومستمرّة ضد المؤمنين.

بلاغة التّوكيد ودلالته:

شـدَّة الغضبِ الإلـهـيّ على المنافقين توبيخٌ وتقريع

جاء قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ مُؤَكَّدًا بإنَّ والجملة الاسميّة واللّام المزحلقة إلى الخبر؛ للإبلاغ في تأكيد كذب المنافقين في كلِّ ما قالوه لإخوانهم اليهود، وفي جميع ما وعدوهم به، وأقسموا لهم عليه بأغلظ الأيمان، والمعنى: واللّه يشهد إنَّهم لكاذبون فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنُّصرة لهم، وفيما أكَّدوه لهم بالأيمان الفاجرة[1]، ونكتةُ التَّوكيد زيادة تقريعهم وتوبيخهم، فإنَّ التّوكيد يكون لبيان شدَّة الغضب لدى المؤكِّد؛ لقطع كلِّ ما يصدر عن الكاذب من أقوال.

بلاغة استعمال مفردة ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾:

الـكـذبُ دالٌّ عـلى الـنِّـفـاق المقترن بالوعودِ الفاضحة

آثر البيانُ الكريمُ استعمال مفردة الكذب دون النِّفاق، في قوله: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ دون (منافقون)؛ وذلك لأنَّ الكذبَ صفةٌ جامعةٌ لكل خصال المنافقين، وهي العاملُ المشترك في كلِّ ما يفعلون من كذبٍ في الكلام، ونكثٍ للعهود، وإخلافٍ للوعود، وحِنثٍ في الأيْمان وزيف في الأخوَّة، يُزاد على ذلك ما في الإخبار به عنهم من التّشنيع بهم، والتَّقبيح لصنيعهم، والذمِّ لأخلاقهم، والكذب هو الدّليل على النِّفاق، فالنِّفاق دعوى ودليلها كذبهم في مثل هذا الموضع؛ لأنَّ الكذب المقترن بمثل هذه الوعود هو نفاق وخيانة ورذالة لا يقوم بها إلّا من تلطَّخ بالنِّفاق.

نكتة التَّعبير بصيغة اسم الفاعل:

التَّعبير باسم الفاعل لإظهار الثُّبوت والعادة

أوثر التَّعبير بقوله: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ اسمَ فاعل دون الفعل؛ لدلالته

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 243، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 230.

على الثُّبوت والدَّوام، ما يعني: أنَّ الكذبَ صفةٌ لازمةٌ للمنافقين، وعادة من العادات الّتي دَرَجوا عليها، ولا يمكنهم التَّخَلُّصُ منها.

علّةُ فصل جملة: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ﴾:

الفصل اللفظي مع الاتصال المعنوي

جاءت جملة: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ﴾ مفصولة عن جملة: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ وذلك لأنَّها بيانٌ لها، فعلَّة الفصل كمال الاتِّصال، ففصلت الجملة عن السّابقة لفظيًّا، لكنَّها متصلةٌ بها معنويًّا.

نوع اللّام ودلالتها:

قَسَمُ الله فيه تطمينٌ للرَّسول والمؤمنين لئلّا يُزعجَهم قولُ المنافقين

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ موطئةٌ للقسم، والتَّقدير: والله لئن أُخْرِجَ المؤمنون اليهودَ من ديارهم، فإنَّ هؤلاء المنافقين لا يخرجون معهم[1]، وهذا تأكيد من الله تعالى لرسوله ﷺ والمؤمنين أنَّ المنافقين لن يَضرّوهم شيئًا؛ لكيلا يعبؤوا بما بلغهم من مقالتهم[2]، وهي رسالةٌ دالَّةٌ على العلم الغيبيّ بواقع المنافقين، سواءٌ في ذكر ما قالوه لليهود، أم في ذكر ما سيكون منهم.

نكتة استعمال: (إنْ):

التّعبير بـ (إنْ) أداةً للشّرط في الآية بجملها الثّلاث مؤكِّدٌ لكذبِ المنافقين وتردُّدِهم وعدم صدقِهم فيما وعدوا به اليهود، وأقسموا لهم عليه من الخروج أو النّصرة.

بلاغة إعادة التَّعبير بما قاله المنافقون لليهود:

إقامة البرهان على علم الله تعالى بما قاله المنافقون لليهود

يُلْحَظُ في بيان الآية إعادةُ التّعبير بكلام المنافقين لليهود، والّذي حكاه قولُه تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾، والسرُّ في ذلك إقامةُ الدّليل والبرهان على علم الله تعالى بما قالوه لليهود، واطِّلاعه على ما وعدوهم به، وأقسموا لهم عليه، وتأكيد كذبهم فيه؛ زيادةً في تطمين

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 303.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 100.

الرّسول والمؤمنين، بجانب ما فيه من دلائل صدق النبوّة وإعجاز القرآن الكريم الغيبيّ.

بلاغة العطف بين الجمل:

تـأكـيـد انـتـفـاء النُّصرة كما أُكِّد انتفاء الخروج

الواو في جملة: ﴿وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ لعطف ما بعدها على قوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ﴾ جيء بها لدفع ما يمكن توهّمه من أنّ المنافقين قد لا يخرجون مع اليهود، ولكنّهم ينصرونهم، ويساعدونهم؛ إن قوتلوا، فأعيد القسم على نفي ذلك مع قرب العهد به؛ تأكيدًا لنفي النُّصرة، كما أكّد من قبل نفي الخروج، وزيادة تقريرٍ لكذبهم فيما قالوا.

دلالة النّفي بـ ﴿لَا﴾:

خـروج المنافقين مـع الـيـهـود ونصرتهم منفيٌّ عـنـهـم نـفـيًـا قاطعًا

عبَّر النّظم الكريم بحرف النّفي: ﴿لَا﴾، في جملتين في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ لدلالته على نفي خروج المنافقين مع اليهود؛ إن أُخرِجوا، ونفي نصرتهم لهم؛ إن قوتلوا، نفيًا قاطعًا لا يقبل الاحتمال، وأعيد ذكره في الجملة الثّانية مع قرب العهد به تأكيدًا لكذبهم، وتقويةً لزيف أخوّتهم، وتحقيقًا لإخلافهم الوعود.

دلالة التّعبير بالفعل المضارع:

تصوير المشهد يـؤكّـد زيـف المـنـافـقـين، وينفي نصرتهم المستقبليَّة

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بالفعل المضارع؛ جوابًا للقسم في جمل الآية الثّلاث، وهي: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ و﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ و﴿لَيُوَلُّنَّ﴾؛ لما يمتاز به المضارع من استحضار مشهد المنافقين، وهم يتخلَّفون عن الخروج مع إخوانهم اليهود، واستحضار مشهدهم وهم يقعدون عن نصرتهم، واستحضار مشهدهم وهم يتركونهم في المعارك والحروب، بما يؤكِّد زيف أخوَّتهم، وخبث طويَّتهم، يُزاد على ذلك ما يمتاز به المضارع من الدَّلالة على تجدُّد نفي الخروج والخذلان والتولّي في الحاضر واستمراره في المستقبل، والمعنى:

لئن أخرج اليهود في المستقبل لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا في المستقبل لا ينصرونهم[1].

نوع الواو ودلالتها:

الواو في جملة: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾؛ لعطف ما بعدها على ما تقدَّم[2]؛ تأكيدًا لكذبهم وزيادةً في تقريره، ويمكن أن تكون الواو للحال، والجملة بعدها ارتقاء في تكذيبهم على ما وعدوا به إخوانهم[3].

نوع اللّام في قوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾:

المنافقون لا ينصرون إلّا أنفسهم

اللّام في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ هي الموطئة للقسم على كذبهم، وتولّيهم عن المساعدة والمعاونة عند حدوث الحرب، والمعنى: واللّه إن نصروهم على سبيل الفرض والتّقدير؛ ليولّين المنافقون الأدبار؛ فرارًا منكم أيُّها المؤمنون[4].

بلاغة استعمال (إنْ):

مآل المنافقين الوخيم مبنيٌّ على احتمالٍ ضعيف

استعمال أداة (إنْ) أداةً للشَّرط في جملة: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ دالٌّ على أنّ قيام المنافقين بنصرة اليهود أمرٌ ممتنعُ حصوله، مشكوكٌ في وقوعه؛ إذ يصعب عليهم القيام به والإقدام عليه، وأنَّه لو حدث على سبيل الفرض والتَّقدير؛ لانصرفوا عن القيامِ به، فهو بناء نتيجة وخيمةٍ على احتمال ضعيف.

بلاغة استعمال مفردة النُّصرة:

التهكُّمُ بالمنافقين فنصرتهم مآلها تولية الأدبار أو النُّكوص على الأعقاب

استعمال مفردة النُّصرة في إرادة الفعل، أو في وقوعه على سبيل الافتراض والتَّقدير، وليس على سبيل الحقيقة؛ لاستحالة قيام المنافقين به؛ لأنَّ الجبن والخور سجيَّةٌ فيهم، وطبيعةٌ لا تفارقهم، والقرينة الدّالة على ذلك هي قوله تعالى: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 100.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 50.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 100.
(4) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 14/ 303.

يُنصَرُونَ﴾، فأطلق الفعل على إرادته، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 6]، والمعنى: أنّه لو فرض أنّ المنافقين أرادوا نصر اليهود؛ فإنَّ أمثالهم لا يُترقَّب منهم الثّبات في الوغى، فلو أرادوا نصرهم، وتجهَّزوا معهم؛ لفرّوا عند الكريهة[1]، وباستعمال هذه المفردة دلالة على معنى التَّهكُّم، أي: إن حصل نصرٌ من المنافقين؛ فمآله تولية الأدبار والنُّكوص على الأعقاب.

دلالة التّوكيد وفائدته:

اللام في قوله تعالى: ﴿لَيُوَلُّنَّ﴾ واقعة في جواب القسم، جاء التّعبير بها؛ للمبالغة في تأكيد تولّي المنافقين عن نصرة اليهود، وتقوية انصرافهم عن الحرب معهم بما لا يحتمل مجالًا للشكِّ، وسرُّ المبالغة في التَّأكيد أنَّ اللّهَ تعالى يعلمُ ما لا يكون لو كان كيف يكون، كما يعلم ما يكون[2].

الله تعالى يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون، كما يعلم ما يكون

فائدة التَّعبير بقوله: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَرَ﴾ دون الفرار:

قولُه تعالى: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَرَ﴾ كناية عن الفرار، وقد أوثر التّعبير به دون: (لفَرّوا)؛ لما يدلّ عليه من أنّ فرار المنافقين ليس نوعًا من الكيد أو الحيلة، وليس فرارًا يتبعه هجومٌ، ولكنّه فرار مصحوب بالخوف والهلع، والإدبار الكُلّي، والإعراض التّام عن الحرب، ما يعني: أنَّهم انصرفوا عن الحرب فارّين بأرواحهم، عازفين عن نصرة إخوانهم الّذين أقسموا بأغلظ الأيمان على نصرتهم.

فـرارُ المنافقين ليس حيلة بل جبلّة

معنى التّعريف في لفظ ﴿ٱلْأَدْبَرَ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلْأَدْبَرَ﴾ لتعريف العهد، وهو العضو المعروف من الجسد، وقد أوثر التّعبير به دون (الظهور)؛ لما شاع بين العرب في استعماله في مقام التَّحقير للفارّين من الحروب والقتال، فهو

الأدبار كنايةٌ عن قبحِ الفارّين وجبنهم عن تحصيلِ المعالي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 100، 101.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 506، بتصرّف.

تحقيرٌ للمنافقين، وذمٌّ لفعلهم، وتقبيحٌ لصنيعهم، وإشارة إلى قبولهم بالذلّ والهوان من غير اكتراث بما يُمكن أن يُقال عنهم، أو يوصفوا به.

نكتةُ جمع ﴿ٱلۡأَدۡبَرَ﴾:

دلالة جمع (الأدبار) على الشّمول والاستمرار

جيء بلفظِ ﴿ٱلۡأَدۡبَرَ﴾ جمعًا؛ للإشارة إلى حصول ذلك منهم جميعًا دون استثناء ولا تراجع، ما يعني: أنّه لا يوجد فيهم أحدٌ يسعى للنّصرة أو الإعانة على التّحقيق.

دلالة حرف التّراخي ونوعه:

انتفاءُ النّصر عن المنافقين حكمٌ إلهيٌّ لا يتبدَّل

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ للتّراخي الرّتبيّ، كما هو شأنها في عطف الجمل، فإن انتفاءَ النّصر أعظمُ رتبةً في تأييس أهل الكتاب من الانتفاع بإعانة المنافقين، فهو أقوى من انهزام المنافقين إذا جاؤوا لإعانة أهل الكتاب في القتال[1]، فانتفاء النّصر هو الحكم الإلهيّ الّذي لا يتبدّل في حقّ المنافقين، ومهما بذلوا من جهدٍ؛ فلن يبلغوا مآربهم، ولن يُحقِّقوا مطالبَهم.

نكتة التّعبير بـ ﴿يُنصَرُونَ﴾ مضارعًا مبنيًّا للمفعول:

انتفاء النّصر حاضرًا ومستقبلًا هو موضع الاعتبار في الخبر

جيء بفعل: ﴿يُنصَرُونَ﴾ منفيًّا مضارعًا؛ لما يضربه هذا الفعل من الخبر الحتميّ الّذي لا يتبدّل، فالنّصرُ منفيٌّ عنهم حاضرًا ومستقبلًا، وجيء به مبنيًّا للمفعول لتوجيه الأنظار لنفي النّصر عنهم، فهو موضع الاعتبار المقصود، وليشمل المنافقين واليهود، والمعنى: لا يُنصر المنافقون بعد ذلك، أي: يُهلكهم اللّهُ، ولا ينفعُهم نفاقُهم لظهور كفرهم، وليُهزمنَّ اليهودُ، ثم لا ينفعهم نصرةُ المنافقين بعد ذلك[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 101.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 231.

دلالة عدم ذكر قيد للفعل ﴿يُنصَرُونَ﴾:

شـمـول نـفـي النَّصر في الزّمان والمكان كلّه

جاء التّعبير القرآنيّ بالفعل ﴿يُنصَرُونَ﴾ غير مقيّد بزمان ولا مكان؛ ليدلَّ على انتفاء انتصار الفريقين أو أيٍّ منهما في كل الأماكن وفي جميع الأزمان، والمقصود: تثبيت رسول الله ﷺ والمسلمين وتأمينهم من بأس أعدائهم[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 101.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والستون،
سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 61 ، 814 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-645-72-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 61 : المجلد الحادي والستون، سورة الحَشر من الآية 11 إلى سورة المُنافِقُونَ الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-645-72-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6860354 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"